من تراب الطريق (٤٥٤)

هذا هو رد فعل العالم(*) فماذا عن رد فعلنا؟!

حملت أنباء الخميس والجمعة ٣ ، ٤ يونية ، تداعيات وردود أفعال عالمية حارة ساخنة للمذبحة الإسرائيلية الغشومة التى حصدت الأرواح فى المياه الدولية فى عرض البحر المتوسط ! . فإلى جانب الإدانات التى لم يتخلف عنها أحد ، فيما عدا ميوعة الموقف الأمريكى ـ طفقت إلى السطح جريمة الحصار ذاته على قطاع غزة ، وإبادة من فيه جوعًا وعطشًا ، فضلًا عن الغارات أو الإغارات ، والسجن والعصف والتنكيل .. وتصاعدت الأصوات التى تطالب بضرورة رفع الحصار . وفى هذا الإطار ـ العالمى ـ أعلن بان كى مون الأمين العام للأمم المتحدة عن وجوب رفع الحصار الذى تفرضه إسرائيل على قطاع غزة فورًا ، وأنه فضلًا عن عدم مشروعيته ـ فإنه غير مقبول أخلاقيا ، بينما دعا وليم هيج وزير الخارجية البريطانية إلى مواجهة دولية توجب اتخاذ قرار دولى بشأن هذه المذبحة ، وطالب برفع قيود الحصار المفروضة على تقديم المعونات الإنسانية لغزة ، ودعا الحكومة الإسرائيلية إلى وجوب فتح نقاط العبور للسماح غير المشروط بالمعونات لغزة ، بينما تصاعدت موجات الاحتجاج الشعبية والرسمية أيضًا فى كافة دول العالم ، حتى تلك المعروفة بعلاقات خاصة دافئة مع الدولة الصهيونية .

ولست أجد جدوى من مناقشة ميوعة الموقف الأمريكى ، وسعيه للإجهاض أو بعثرة الجهود الدولية وصرفها عن الموقف الحازم الواجب

(*) المال ٧/ ٦/ ٢٠١٠ .

اتخاذه ، وتوسلها ـ أمريكا ! ـ إلى منطق «إعطاء اللص مفتاح الكرار»! باقتراحها على إسرائيل أن تشكل لجنة تحقيق مستقلة ـ عن ماذا لست أدرى ! ـ مطعمة بمراقبين أمريكيين !! للتحقيق فى الحادث ، مع أنه ليس بحادث بل مجزرة مع سبق الإصرار والترصد تستهدف بالرعب تعقيم أى محاولة إنسانية للحيلولة بينها وبين إبادة الشعب الفلسطينى المحاصر فى قطاع غزة !

يخطئ جدًا من يحصر المجزرة فى عشرات الأرواح التى حصدت فى عرض البحر ، فالهدف البعيد هو فرض ميزان رعب لتمضى خطة إبادة الفلسطينيين إلى غايتها . لم تكن الأرواح التى حُصِدت للأبرياء على متن السفن هى كل المرام الإسرائيلى ، وإنما هى رسالة للعالم أن «إبادة «الفلسطينيين ينبغى أن تمضى ـ ليس فقط تحت نظر العالم ، وإنما مقرونة بسكوته وصمته ومنعه من أى اعتراض أو حتى إطلاق مقولة : «لا» !!!

دعنا من إسرائيل التى رفضت بإباء وشمم الاقتراح الأمريكى المائع ، مثلما رفضت تشكيل لجنة تحقيق دولية ، وأكدت ـ بإباء أيضًا وشمم !! ـ أنها لن تتعاون مع أعضاء لجنة مجلس حقوق الإنسان !!!

وإنما السؤال الواجب طرحه والإجابة عليه ، هو ماذا فعلنا نحن العرب إزاء هذه المصيبة فى حبات عقد متتال متلاحق من المصائب التى تنزلها إسرائيل بنا وبأرواحنا وبكرامتنا وشرفنا ؟! ما معنى الاعتراض على ما سمّى القوة «المفرطة» ؟! هل نحن نوافق على استعمال هذه القوة إن لم تكن مفرطة ؟!! هل أعيتنا القواميس الدبلوماسية أن نجد تعبير احتجاج ورفض يتفق مع دموية وجسامة المذبحة وفداحة المصيبة ؟!

هل لـم يجد رئيس تحرير إحدى الصحف القومية ، المتحدث ـ أو هكذا

يوحى ـ بلسان السياسات ، بُدًّا من أن يعاير بمانشيت عريض فى الصفحة الأولى ـ يعاير الإخوان المسلمين ـ والآن !! ـ بأنهم استفادوا ويستفيدون مما أسماه «التطبيع» «المصرى» مع إسرائيل ؟! ألا يوجد فى الإدارة الحاكمة عاقل يراجع هذا الصحفى الذى تبوأ رئاسة تحرير إصدارات دار صحفية حفر الأسلاف فى الصخر حتى أقاموا صرحها الذى يعبث فيه سيادته بما عَنَّ له من ادعاءات الحكمة بمنطق الدبة ؟! أليس من الخيبة أن يصدر عن رئيس تحرير حكومى ـ والآن !! ـ أن مصر عينى عينك تطبع مع إسرائيل التى تغتال الأخضر واليابس وتنسف أعواد الحياة فى وطننا بغض النظر عن الحدود التى اصطنعها الاستعمار لتقسيم بلادنا ؟! ألم يفتح الله عليه بشىء لمعايرة الإخوان المسلمين سوى التلويح الخائب المعيب غير العاقل بأنهم استفادوا ويستفيدون من «تطبيع» مصر مع إسرائيل ؟! ألم ينم إلى علمه أنها خيبة قوية أن يلوح بذلك بينما دول كجنوب أفريقيا والإكوادور تعلن استدعاء سفيريهما لدى إسرائيل ؟! ألم يلاحظ سيادته أن هذا المانشيت ـ الآن !! يحبط المجتمع الدولى الذى نهض برمته لشجب ورفض المذبحة الإسرائيلية وتتصاعد مواقفه لرفع الحصار الإسرائيلى الغاشم عن قطاع غزة ؟!!

يكاد المتابع لا يلاحظ على المسرح العربى سوى الانتفاضات والمظاهرات والاحتجاجات الشعبية ، ولم تجد الحكومات شيئا تفعله سوى أن تقول .. بإطلاق عبارة أو أخرى ، دون أن تفعل شيئا أو تتخذ موقفا يجب على الدول الحرة اتخاذه بما يناسب فداحة ما نتعرض له من إهانة فضلا عن الإبادة !

ظنى أن كارثة وتداعيات العجز العربى ، أفدح وأشد وقعًا وأثرًا علينا من المذبحة الإسرائيلية ذاتها ، فكم من اعتداءات ومذابح ذهبت فى النهاية

إلى مزبلة التاريخ أمام صمود ومقاومة الشعوب والحكومات والأوطان .
العجز العربى مصيبة حقيقية تبث رسالة إلى الأجيال أن أديروا ظهوركم للقضية ولحريتكم وكرامتكم وعرضكم وسلموا إلى إسرائيل بما تريد !!!

ماذا يبقى لنا من بعد ؟!

لماذا لا تترك الحكومات العربية ـ على الأقل ـ مهمة الخطاب الواجب للقوى الشعبية مادام الخطاب الرسمى قعيدًا عاجزًا حبيسًا .. فى عهد الملكية البائد فى مصر المحروسة ، أطلقت الحكومات المصرية لبنيها حرية المقاومة الشعبية المسلحة للقوات الإنجليزية المحتلة على طول قناة السويس ، ولم يتوجس أحد أو يتذرع أيامها بأن إطلاق الحرية للقوى الشعبية فى المقاومة يؤثر أو يمكن أن يؤثر على أمان النظام الحاكم فى مصر !!

لماذا قتلنا الكرامة فى بلادنا ؟!!

*****